رالف داهندروف : التنظيم كمجال للصراع الهيكلي

يشكل مفهوم الصراع أحد المحاور المركزية في علم الاجتماع منذ رواد النظرية الاجتماعية، غير أن رالف داهندروف قدم مقاربة جديدة جعلت التنظيم مجالا بنيويا لانتاج الصراع،بدل إعتباره مجرد نتيجة للتفاوتات الاقتصادية أو النفسية. كمايرى داهندروف أن كل تنظيم يحتوي بالضرورة على بنى سلطوية تولّد تفوتا في فرص فرض الارادة، ومن ثم تنشأ علاقات صراعية كامنة أو معلنة بين الفئات.

أولا: التعريف بالشخصية:

رالف داهندروف(1929-2009) عالم اجتماع وفيلسوف سياسي ألماني بريطاني،يعد أحد أبرز المفكرين في التظرية الاجتماعية في القرن العشرين، وخصوصا في نظرية الصراع وسوسيولوجيا السلطة والتنظيم، جمع رالف داهندروف بين الانتاج العلمي والممارسة السياسية،فقد شغل مناصب أكاديمية مرموقة في جامعات مثل توبيغن، كونستانس،...كما تولى مناصب سياسية في البرلمان الألماني الأروبي،ثم أصبح عضوا في مجلس اللورات البريطاني.

تميز رالف بقدرته على التوفيق بين التقليد الماركسي والاتجاه الوظيفي،إذ قدم منظورا جديدا يرى المجتمع والتنظيمات بوصفها بنى سلطوية تولد صراعا هيكليا مستمرا. ومن أشهر أعماله الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي(1959) والذي وضع فيه أسس مفهوم علاقات الالزام كمدخل لفهم التنظيمات

وإلى جانب اسهماته السوسيولوجية،عرف رالف كمفكر سياسي ليبرالي دافع عن حرية الفرد،وسيادة القانون، والحداثة الديمقراطية وقد أثرت أفكاره في نظرية التغيير الاجتماعي ودراسات السلطة.

ثانيا: السياق الفكري لنظرية داهندروف:

ظهرت نظرية داهندروف في مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية، حيث سادت مقاربتان متناقضتان حول التنظيم:

- منظور الضبط والوظيفية الذي شدد على التكامل والاستقرار

- المنظور الماركسي الذي ركّز على الصراع الطبقي

اقتراح داهندروف منظورا ثالثا اعتبر فيه الصراع ليس عارضا ولامرحليا، بل هو جزء بنيوي من كل تنظيم لأن السلطة نفسها غير موزعة بالتساوي، ويشير إلى أن التنظيمات سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو تعليمية تدار عبر علاقات إلزام تولد طاقة لدى فاعلين وتسلطا لدى أخرين.

ثالثا،داهندروف والمفاهيم الأساسية:

إن نظرية داهندروف الصراعية تنطوي على مفاهيم مركزية وهي:

- علاقات الالزام: يعرف التنظيم بأنه وحدة اجتماعية تنتج علاقات إلزام بين من يمتلكون السلطة ومن يخضعون لها،وهذا يعني أن التنظيم لايكتمل إلا بوجود تراتبية تحدد من يأمر ومن ينفذ ومن هنا تنشأ البنية الصراعية.

-مواقع السلطة: يقسم رالف الفاعلين داخل كل تنظيم إلى فئتين وهما:

حملة السلطة: القادرون على فرض إرادتهم

الخاضعون للسلطة: الذين يتلقون الأوامر ويتأثرون بقرارات غيرهم.

يؤدي هذا التقسيم إلى مايسميه مجموعات مصلحية كامنة تتطور، عند حدوث توتر إلى مجموعات صراعية فعلية.

- الشرعية والاعتراض: يعتبر رالف أن السلطة لاتستمر إلا بشرعية لكن هذه الشرعية ليست ثابتة،إذ يمكن فقدانها عند شعور الفئة الخاضعة بأن توزيع السلطة غير عادل،مماپؤدي إلى الاعتراض وصيغ المقاومة المختلفة.

- التغيير الاجتماعي: يعتقد رالف أن الصراع هو ديناميكة التغيير،فبدل رؤية التنظيمات كمنظومات ثابتة،يؤكد أن الصراع يحمل طاقة التحول والتجديد. وبذلك أسهم في ربط سوسيولوجيا التنظيمات بسوسيولوجيا التغيير.

رابعا:التنظيم كمجال للصراع الهيكلي:

في منظور رالفالتنظيم ليس مجرد إطار للعمل أو الانتاج،بل هو ساحة صراع متجذر في بنية السلطة ذاتها وتبرز أربعة أبعاد رئيسية لهذا الصراع:

- الصراع بين المستويات الادارية:كلما ارتفعت المركزية ظهرت إمكانية أكبر للاحتجاج،لأن القرارت تتخذ بعيدا عن الفاعلين الميدانيين.

- الصراع حول توزيع المعلومة: المعلومات مورد سلطوي وينشأ الصراع عندما تحتكر المعلومات من طرف الادراة.

-الصراع حول القواعد والقيم التنظيمية: تسعى الادراة إلى فرض مجموعة من القيم (الانضباط، الأداء، الطاعة التنظيمية)،بينما يطور العمال أو الموظفون قيما مضادة:التضامن؛ الحماية الذاتية والمقاومة الهادئة

- الصراع حول الامتيازات والفرص:يؤكد رالف أن التنظيما توزع الحوافز والموارد بشكل غير متساو،مما ينتج صراعا بين وحدات العمل ومختلف الفرق المهنية.

خامسا: مستويات تحليل الصراع داخل التنظيم:

يحلل الصراع عبر عدة مستويات وهي:

- المستوى البنيوي: يشير إلى التوزيع الرسمي للسلطة، والعلاقات الهرمية واللوائح التنظيمية التي تحدد الامتثال والعقوبات

-المستوى الديناميي: يتعلق بالأدوار الفعلية والتحالفات غير الرسمية واستراتيجيات المقاومة اليومية،مثل تأجيل العمل أو تخفيف الوتيرة أو الاحتجاج الرمزي.

- المستوى الثقافي: يرتبط بثقافة التنظيم وتمثلها للعلاقة بين السلطة والطاعة وكيفية فهمها للشرعية.

سادسا: تطبيقات نظرية رالف على التنظيمات الحديثة:

تتجلى الممارسات العملية لنظرية رالف في التنظيمات الحديثة وفق النماذج التالية:

التنظيمات الادارية: تكشف نظرية الصراع الهيكلي أن الاصلاح الاداري لاينجح ؛إلا إذا أخذ في الحسبا التوترات القائمة بين المستويات المختلفة داخل الجهاز الاداري.

التنظيمات الاقتصادية: تظهر النظرية أن الصراع ليس نتيجة سوء تفاهم بل هو نتاج طبيعي لتفاوت الفرص ،خاصة في تنظيمات الانتاج الضخمة.

المنظومات التعليمية: تعاني الجامعات والمدارس صراعات بين الادارة والأساتذة والطلبة نتيجة تباين مصادر السلطة وتحديد من يملك القرار التعليمي.

التنظيمات الرقمية المعاصرة: أعادت المنصات الرقمية انتاج الصراع عبر سلطة الخورزميات،التي تحدد فرص الظهور والوصول دون شفافية،ماينتج تبعية جديدة بين المستخدمين ومطوري الخوزرزميات، وهذا امتداد حول السلطة غير المتكافئة وفق رؤية رالف

سابعا: نقد مقاربة رالف:

افراط في التركيز على السلطة: يرى بعض النقاد أن رالف يجعل السلطة العامل الوحيد المفسر للصراع، ويتجاهل عوامل الهوية،الثقافة، والدوافع الشخصية

غياب تحليل الاقتصاد الساسي: لم يمنح رالف للأبعاد الاقتصادية سوى دورا ثانويا مع أنه من الصعب فهم الصراع دون ربطه بالموارد الاقتصادية

التقليل من أهمية التوافق والتنظيم الذاتي: تظهر دراسات حديثة أن كثيرا من التنظيمات تعتمد على التفاوض والتكيف وليس الصراع وحده

ثامنا: القيمة التحليلية لمشروع رالف: رغم الانتقادات ماتزال مقاربة رالف تقدم أدوات تحليلية مهمة في سوسيولوجيا التنظيمات أهمها:

تحول الصراع من مفهوم أيديولوجي إلى آلية بنيوية

التكيز على السلطة باعتبارها متغيرا حاسما

فهم التنظيم بوصفه فضاء ديناميا لايخلو من التوتر

قابلية النظرية للتوظيف في تحليل المؤسسات المعاصرة بما فيها الرقمية.

قدم رالف أحد أكثر النماذج تأثيرا في سوسيولوجيا التنظيمات، حيث أعاد الاعتبار للصراع بوصفه عنصرا تأسيسيا داخل كل تنظيم. كما أن تحليل التنظيم كحيز للصراع الهيكلي يسمح بفهم أدق لأليات العمل والتغيير، ويسهل قراءة التوترات التي تظهر في المؤسسات الحديثة،سواء كانت ادارية أو خدمية....أو رقمية.

وتظل نظرية رالف إطارا غنيا للحليل السوسيولوجي لاسيما في زمن التحولات التكنولوجيا المتسارعة التي أعادت تشكيل موازين السلطة داخل التنظيمات.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...